QALAM INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC AND HUMANITIES RESEARCH

أهمية علم المعاني لمعرفة قصد القرآن:دراسة تحليلية لأنواعها وأمثلتها من الآيات القرآني

[THE SIGNIFICANCE OF 'ILM AL-MA'ANI IN UNDERSTANDING THE MEANINGS OF AL- QURAN: AN ANALYSIS TOWARDS ITS EXAMPLES IN QURANIC TEXTS]

NURUL BADRIYAH ALI[1*] & ANGRAINI RAMLI [2]

[1*] Akademi Pengajian Islam Kontemporari, Universiti Teknologi MARA (UiTM) Johor, Jalan Universiti Off, KM12, Jalan Muar, 85000, Segamat, Johor, MALAYSIA. E-mail: nurulbadriyah@uitm.edu.my

[2] Program Studi Ilmu Al-Quran dan Tafsir, Fakultas Ushuluddin Adab dan Dakwah, Institut Agama Islam Negeri (IAIN) Langsa, Aceh, Jalan Meurandeh, Meurandeh, Langsa Lama, Kota Langsa, 24415, Aceh, Indonesia, E-mail: angrainiramli@iainlangsa.ac.id

Received: 19 July 2021 *Accepted: 20 August 2021* *Published: 15 November 2021*

Abstract: Al-Quran is regarded as the most comprehensive book that accommodates the needs of humankind, particularly, the Muslims. As it was revealed in Arabic language, therefore it is a requirement for those who want to understand the Quranic meaning literally and explicitly to be linguistically well-informed and skilled. Ilm al-Ma'ani is a branch of Ilm Balaghah. It is a science that helps people to understand the meaning of Quranic verses. Due to its major role in comprehending the language of the Quran, this research aims to examine Quranic verses using Ilm al-Ma'ani as an attempt to extract the actual meaning of the verses which will be beneficial especially for non-native speakers. It was found from the analytical approach applied on those examples and verses that the content of Ilm al-Ma'ani is implied in Quranic verses in the forms of al-Khabar and al-Insha', al-Taqdīm and al-Ta'khīr, al-Zikr and al-Hadzf, al-I'jāz and al-Iṭnāb. By grasping those topics, the readers will know accurately the actual meaning and purpose of those Quranic verses. Therefore, Ilm al-Ma'ani is considered as an important knowledge and essential skill in understanding the Quranic verses.

Keywords: Ilm al-Maani, Understand the meaning of al-Quran, Quranic Text.

ملخص: إنّ القرآن الكريم كتاب شامل كامل متكامل يحتاج إليه جميع الناس وخاصتهم المسلمون. كما أنّ القرآن أُنزل باللّغة العربية، فلا بدّ للقارئ أن يتعمّق في بعض المهارات اللغوية وقواعدها وبلاغتها، لأجل معرفة قصدها الحقيقية لغويًّا ومقاصديًّا. فعلم المعاني قسم من أقسام علوم البلاغة، والذي يساعد الناس في معرفة معاني كلمات القرآن وآياته الكريمة. مع أنّ علم المعاني يلعب دورًا كبيرًا لفهم لغة القرآن، فهذا البحث يتحدّث عنه من خلال توضيح مباحثه وأمثلتها من الآيات القرآنية، لأجل بيان قصدها الحقيقي، وخصوصًا لغير الناطقين بهذه اللغة. وهذا البحث هو دراسة تحليلية لتلك الأمثلة والآيات. ومن نتائج هذا البحث أنّ من مباحث علم المعاني ذكرت في القرآن منها: الخبر والإنشاء، التقديم والتأخير، الذكر والحذف، الإيجاز والاطناب. ومن تلك المباحث، يعرف القارئ قصد الآيات ويفهمها بدقّة، وليس مجرّد القراءة في سطحها. ولهذا، فإنّ علم المعاني يعتبر كمهارة مهمّة لفهم الآيات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: علم المعاني، فهم معاني القرآن، النصوص القرآنية.

Cite This Article:
Nurul Badriyah Ali & Angraini Ramli. (2021). Ahammiyat ‘ilm al-Ma‘ani li Ma‘rifat Qasd al-Qur‘an: Dirasah Tahliliyyah li Anwa‘iha wa Amthilatiha min al-Ayat al-Qur’ani [The significance of ‘ilm al-Ma‘ani in understanding the meanings of al-Quran: An analysis towards its examples in Quranic texts]. *QALAM International Journal of Islamic and Humanities Research*، 1(1), 12-25.

المقدمة

إنّ من واجبات القارئين والعالمين والعاملين بالقرآن أن يفهموا معاني القرآن وأساليبه الخاصة. لذلك، اعتنى كثير من العلماء منهم المفسرين، واللغويين، والبلاغيين لعلم البلاغة لأنّ القرآن أُنزل بهذه اللغة. ومن المعلوم أنّ علم البلاغة يتضمن ثلاثة علوم؛ علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع. فكلّ هذه العلوم لديها أهميّة خاصّة لفهم قصد اللغة العربية على عمومها وقصد الآيات القرآنية على وجه الخصوص. فجاء علم المعاني بدوره الخاص لفهم الآيات القرآنية بمعناها الأصلية كما جاء فيه مباحث متعدّدة لبيان تلك المعاني.

قال بسيوني أنّ علم المعاني عند البلاغيين هو علم يُعرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال. واللفظ العربي يشمل اللفظ المفرد واللفظ المركب أي الجملة وأجزائها؛ فأحوال الجملة: الإسناد الخبرى والإنشاء وأسلوب القصر والفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة. أما أحوال أجزاء الجملة فهي المسند والمسند إليه، ومتعلقات الفعل، كالتعريف والتنكير والحذف والذكر والتقديم والتأخير والإظهار والإضمار وغير ذلك. فعلم المعاني يبحث في تلك الأحوال وكيف تأتي مطابقة لمقتضى حال المخاطب. أي أنه يبحث في بناء الجملة العربية صياغتهم، إختيار أجزاءها، علاقة الجمل المتتابعة بعضها ببعض، إختيار نوع الكلام الملائم لمقتضى حال المخاطب، خبرا أو إنشاء، إيجازا وإطنابا أو مساواة. (Basyūnī, 1406H)

مستعينا بهذا القول، فإنّ علم المعاني هو قواعد وكيفيات مطابقة الكلام بمقتضى الحال. ومثال في ذلك استعمال جملة خالية من التأكيد عند الكلام مع من ليس في قلبه شك، وكذلك استعمال التأكيد في الكلام مع من أنكر بها، وهذا كله يدور حول استعمال الأسلوب المناسب واختيار الجملة المناسبة في الكلام.

ومن الجدير بالذّكر أنّ علم النحو كذلك يتحدّث عن أحوال أو مباحث مثل الذكر والحذف، والخبر والإنشاء، والفصل والوصل وغيرها ولكنّ الكلام عنها من جهة الصّحة والفساد، أمّا في علم المعاني فتأتي الموضوعات مثلها لأجل بيان الأحوال التي تطابق مقتضى الحال حتى أدرك في ذهن المخاطب قصد المتكلّم في كلامه.

لذلك قال بسيوني: وعلم النحو وإن كان قد تعرض لدراسة هذه الأحوال فدرس أحوال المسند إليه من حذف وذكر وتقديم وتأخير وتنكير وتعريف كذا أحوال المسند والمتعلقات والحصر وغير ذلك؛ إلّا أن دراسة لها تختلف عن دراسة البلاغيين، فالنحوي يدرس هذه الأحوال من حيث الجواز والوجوب والامتناع، أي: من حيث الحكم وإمكان الاستعمال. أما البلاغي فيدرس الأسرار الكامنة وراء هذه الأحوال، لأنه يتناولها من حيث كونها مطلبا بلاغيا يقتضيه المقام ويدعو إليه حال المخاطب. (Basyūnī, 1406H)

ولذلك أنّ علم المعاني يلعب دورًا كبيرًا في فهم أسرار اللغة العربية، وخصوصًا في فهم معاني القرآن الكريم. ولو لا علم المعاني، لَمَا فهم القارئون ما قرأوا من القرآن وأسرار آياته الكريمة.

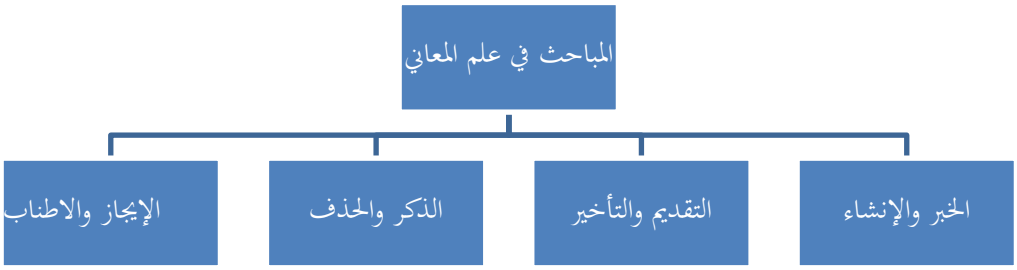

المبحث الأوّل: الخبر والإنشاء

ينقسم الكلام إلى قسمين: خبر، وإنشاء. فالخبر: قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي هو ما يصح أن يقال لقائله: أنه صادق فيه أو كاذب، بأن يكون القول مطابقًا للواقع، أو غير مطابق، أو هو قول لا يتوقف تحقق مدلوله على النطق به. فقولك: "علي شجاع" خبر، لأنّه يحتمل أن يكون علي شجاعًا في الواقع، فيكون الخبر صادقًا. وإن لم يكن شجاعًا، فيكون الخبر كاذبًا. ومدلوله وهو ثبوت الشجاعة له.

فأغراض الخبر التي حصرها البلاغيون كثيرة. وللخبر مقصدين أساسيين؛ أولًا: إفاد المخاطب أو السامع مضمون الخبر ونفس الحكم، كقوله: جاء عمرو، وزيد ناجح. وثانيًا: إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالِمًا بالحكم وبمضمون الخبر، وذلك عندما يكون المخاطب عالِمًا بمضمون الخبر ولكنّه يجهل معرفة المتكلم به، كقوله لمن ظهرت نتيجة اختباره ووقف على نبأ نجاحه: "أنتَ نجحتَ".

والغرض من إلقاء الخبر منها؛

1. ما يُرادُ منه الاسترحامُ والاستعطاف: كقوله تعالى في شأن موسى: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (القصص: 24) فسيدنا موسى –عليه السلام– لا يقصد إلى أن يرجو الرحمة والعطف من ربه عزّ وجل. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لقد قال موسى صلّى الله عليه وسلّم ربّ إنّني لما أنزلت إليّ من خير فقير، وما أحد من الخلق أكرم على الله جلّ وعزّ منه ولقد افتقر إلى شقّ تمرة فمصّها فلزق بطنه بظهره من الجوع.(al-Naḥḥās, 1421H)
2. وقد يرادُ منه إظهارُ الضَّعْف: كما في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} مريم:4. فزكريا عليه السلام لا يريد بهذا القول أن يخبر الله بحاله إذ يعلم أن الله لا

يخفى عليه شيء، ولكنه قصد إظهار ضعفه، وأنه بلغ من الوهن والكبر غاية لا أمل له بعدها في الحياة.) Ḥāmid ʻAwnī, N.D)

3. وقَدْ يُرادُ مِنْهُ التوبيخ: كجواب المؤمنين للمنافقين في موقف الحشر بعد أن يضرب بين الفريقين بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، في الحوار بينهما الذي عرضه الله عز وجل: {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[الحديد: 14].

وكالمقالة التي توجه للذين يكنزون الذهب والفضه حين يعذبون بصفائحها المحمية في نار جهنم، إذ يقال لهم كما جاء في آية:{هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ}[التوبة: 35]

4. فقد يراد به الأمر، مثل قول الله عز وجل في: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ }[البقرة: 233]. أي: وليرضع الوالدات أولادهن.

وقوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ }[البقرة: 228]. أي: ليتربصن. (ʻAbd al-Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah, 1996)

5. وقد يراد به النهي، ومنه، قوله تعالى: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}[البقرة: 197]. أي: فمن فرض فيهن الحج فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل في الحج.

6. وقد يراد من الخبر الدعاء، ومنه: قول يوسف عليه السلام لأخوته في { قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: 92]. يغفر الله لكم: جملة خبرية أريد منها الدعاء لهم بأن يغفر الله لهم. (ʻAbd al-Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah, 1996)

والمخالفة للخبر، فإنّ الإنشاء هو قول لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا، أي لا يجوز أن يقال لقائله: أنّه صادق فيها أو كاذب إذ لا واقع للقول حتى يطابقه أو لا يطابق. ويعني به أنّه قول يتوقف تحقق مدلوله على النطق به فقولك: "اكتب يا علي" إنشاء. فمدلوله طلب الكتابة منه (Ḥāmid ʻAwnī, N.D)، ولا يتعلق بهذا الطلب صدق ولا كذب، بل فيه طلب الفعل من المخاطب.

فإنّ الإنشاء هو الكلام الذي يتوقف تحقُّقُ مدلوله على النطق به، كالأمر والنهي والدعاء والاستفهام، وإنشاء العقود، وإنشاء المدح والذمّ، وأمر التكوين، والْقَسَم، ونحو ذلك. والجملة الإنشائية ينقسم إلى قسميْن؛ الأول: الإنشاء غير الطلبي، والثاني: الإنشاء الطلبي.

ومثاله في جملة أمر التكوين "كُنْ"، في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[يس: 82] (ʻAbd al-Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah, 1996)

فقال المراغي أن: الإنشاء تنقسم إلى قسمين: طلبي وهو خمسة أنواع: الأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام، والنداء، ويعرف بأنه ما يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب. وغير طلبي وهو ما يستدعي مطلوبا حاصلًا. (Al-Marāghī, N.D)

وللإنشاء الطّلبي، فهي تحتوي على خمسة أنواع:

1. يُسْتَفادُ مِنْ صِيَغِ الأَمر التكليفُ الإِلْزامِيُّ بالفعل. وهو طلب فعل غير كفّ، وصيغته افعَلْ وليِفْعل. وهي حقيقة في الإيجاب، نحو: {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ}[الأنعام: 72] وأحيانًا ترد مجازاً لمعان أخر، منها؛ الندب: نحو: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} [الأعراف: 204]، والإباحة، نحو: {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} [النور: 33]. والإهانة، نحو: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ} [الدخان: 50]. والتسخير، أي التذليل، نحو: {كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [البقرة: 65]. والتعجيز، نحو: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 23].
2. ويستفادُ منْ صيغة النهي التكليف الإلزاميُّ بالترك وعدم الفعل. وهو طلب الكف عن فِعْل. وصيغته " لا تَفْعَل "، وهي حقيقة في التحريم. (‘Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah, 1996)

وترد مجازاً لمعان، منها: الكراهة: نحو: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) .وقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: 36]. (Al-Ṣuyūṭī, 1974)

3. الدعاء ويكون عادةً من العبد لربّه: والدعاء من السافل للعالي (Al-suyuti, 1988) مثل قوله تعالى: { فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَاۤ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}[الأعراف: 155]. وقوله: {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذين مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ واعف عَنَّا واغفر لَنَا وارحمنآ أَنتَ مَوْلاَنَا فانصرنا عَلَى القوم الكافرين}[البقرة: 286]
4. التَّمنِي، هو طلب حصول شيء محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلا ويكون عادة في الميئوس من الحصول عليه (Al-Marāghī, N.D)أو فيما هو بعيد المنال: كقوله تعالى: {وَنَادَوْاْ ياملك لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ}[الزخرف: 77]؛ وطَلَبُهُم من أصحاب الجنة أن يفيضوا عليهم من الماء او مما رزقهم الله. كما قال تعالى: {ونادى أَصْحَابُ النار أَصْحَابَ الجنة أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ المآء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله}[الأعراف: 50]
5. الاستفهام، وهو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته وهي: الهمزة وهل ومن ومتى وأيان وأين وأني وكيف وكم وأي. مثاله في قوله تعالى: {قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا}[آل عمران: 37]. ولكن استعمال صيغة الإستفهام في القرآن كثيرهم تخرج عن أصل وضعها بل تُذكر لأغراض أخرى، مثل؛ التنبيه على ضلال المخاطب، نحو: فأين تذهبون؟ ومنها، الوعيد والتخويف، نحو قوله تعالى: {أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ} [المرسلات: 16]. وكذلك الأمر، نحو: {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر: 16]، ونحو: أتصون يديك

عن الأذى؟ كما من أغراض النهي، نحو: {أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ} [التوبة: 13]. (Al-Marāghī, N.D)

6. النّداء، وهو طلب إقبال المدعوّ على الداعي بحرفٍ نائب مناب أدعو، ويصحب في الأكثر الأمر والنهي. نحو: {يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} [الزمر: 16] ، و {(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2)} [المزمل: 1-2]. (Al-Suyūṭī, 1988)

المبحث الثاني: التقديم والتأخير.

إنّ موضوع التقديم والتأخير ينقسم إلى قسمين: الأول: ما أشكل معناه بحسب الظاهر، مثل ما أخرج عن قتادة في قوله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}[آل عمران:55]، قال: هذا من المقدم والمؤخر أي "رافعك إلي ومتوفيك" وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى: {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}[ص: 26]. قال: هذا من التقديم والتأخير يقول: "لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا ". أما الثاني: فهو مما ليس فيه إشكال المعنى. (Al-Ṣuyūṭī, 1974)

فمن أسرار التقديم والتأخير في القرآن عشرة أنواع:

الأول: التبرك كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن ومنه قوله: { {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [الأنفال: 41]

الثاني: التعظيم كقوله: { {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ}[النساء:69].

الثالث: التشريف كما في قوله: {الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى} [البقرة: 178]

الرابع: المناسبة وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله: وقوله: {يريكم البرق خوفا وطمعا} لأن الصواعق تقع مع أول برقة ولا يحصل المطر إلا بعد توالي البرقات.

الخامس: الحث عليه والحض على القيام به حذرا من التهاون به كتقديم الوصية على الدين في قوله: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}[النساء: 11] مع أن الدين مقدم عليها شرعا.

السادس: السبق، باعتبار الإيجاد بتقديم الليل على النهار والظلمات على النور وآدم على نوح ونوح على إبراهيم وإبراهيم على موسى وهو على عيسى وداود على سليمان والملائكة على البشر في قولهك: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: 75]

السابع: السَّببية كتقديم العزيز على الحكيم لأنه عز فحكم والعليم عليه لأن الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم وأما تقديم الحكيم عليه في سورة الأنعام فلأنه مقام تشريع الأحكام.

الثامن: الكثرة، كقوله: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} [فاطر: 32]، قدم الظالم لكثرته ثم المقتصد ثم السابق.

التاسع: الترقي من الأدنى إلى الأعلى. هذا النوع تأخير الأبلغ وقد خرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم والرءوف على الرحيم والرسول على النبي في قوله: { وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا}[مريم: 51]، وذكر لذلك نكت أشهرها مراعاة الفاصلة.

العاشر: التدلي من الأعلى إلى الأدنى وخرج عليه: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: 255] {لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً} [الكهف: 49].

قد يقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر ونكتة ذلك إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه كما تقدمت الإشارة إليه وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه كما في قوله: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}[آل عمران: 106]، وإما لقصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب كما في قوله: {وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}[البقرة: 58] وقوله: {وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا}[الأعراف: 161] (Al-Ṣuyūṭī, 1974)

وقد أورد على هذا القسم بعض الأمثلة من القرآن الكريم. ومنها ما حكاه عن ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 55].

قال قتادة: هذا من تقديم الكلام يقول: "لا تعجبكَ أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا. إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة".(Al-Maṭa'nī, 1992)

المبحث الثالث: الذكر والحذف.

إن معرفة الذكر والحذف مهمة لبيان معاني القرآن لأنّ كونهما في محلّهما الخاص يأتي بمعنى المختلفة. وفي القرآن الكريم، يحذف كلمة أو جملة في مكان ويذكر سبحانه وتعالى في مكان آخر لأغراض متنوعة. سيأتي بيان لهذا المبحث مع الأمثلة، إن شاء الله.

قال عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة: ونلاحظ أنّ في كثيرٍ من الجمل العربيّة مخاذيفَ واجبَة الحذف أو جائزَته، قد لوحظ فيها أن المحذوف هو من الأكوان العامّة الّتي تُفْهَمُ بالْفِطْنَة دون أن تُذكَر، أو من الضمائر التي يُوجَدُ في الملفوظ من الكلام ما يَدُلُّ عليها، أو ممّا يسْهُلُ إدْراكُه ولو لم يُوجدْ في الكلام لفظ خاصٌّ يَدُلُّ عليه. وقد اعتاد أهل اللّسان العربيّ على حَذْفِها دواماً، أو أحياناً، لأنّ اللِّسان العربيَّ مَبْنِيٌّ في مُعْظَم تعبيراته على الإيجاز، وحذْفِ ما يُعْلَم ولَو لَمْ يُذكر، وهذا من مزايا اللّغة العربيّة. وحينما يكون المتكلّم العربيّ الْبَلِيغُ أمام احتمالَيْنِ جائزيْنِ في اللّسان العربي كالذِّكْر والحذف، ويَرَى أنَّ كُلاًّ منهما يُحَقِّق توصيل ما يُريدُه من المعاني، إلاَّ أنّ أحدهما أكْثَرُ تأثيراً في المخاطب بحسب حاله، أو أكثر جمالاً لدى ذوّاقيا لجمال في الكلام، أو يراه يُحَقِّق له غرضاً بلاغيّاً لا يحقِّقُه له

الاحتمال الآخر، فإنّ عليه أن يكون دقيق الملاحظة في خصائص الاحتمالات وفُروقِ دلالاتها، ويُحَدِّد منها ما يدعوه إلى ما يختار من ذكر العنصر من عناصر الجملة التي يُنْشِئُها أو حذفه. (‘Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah, 1996)

ومثال واضح في كتاب البلاغة العربية في قوله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العظام وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الذي أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}[يس: 78-79]. لقد كان يمكن فهم المراد دون ذكر [يُحْيِيها] لكن اقتضَى الردُّ على سؤالِ منكر البعث بإحياء العظام وهي رميم، بأنْ يُقالَ له: يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة. وقال تعالى: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}[لقمان: 34] . فقد كان من الممكن أن يقال: ولا بأيّ أرض تموت.(‘Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah, 1996)

إنّ القرآن يحذف من الكلمة لغرض ولا يفعل ذلك إلا لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال: 1) أنه يحذف من الفعل للدّلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وإن زمنه أقصر ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث. أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورة.

ومن ذلك قوله تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ. وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة: 280]. فقال (تصدقوا) بحذف إحدى التاءين والأصل (تتصدقوا) ذلك لأن هذه من أحوال الصدقة النادرة وهو التصدق بدين المعسر فحذف لما لم يكن كالصدقة المعتادة لكونها أقل. (‘Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah, 1996)

وكذلك في قوله تعالى: {قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا} وقوله: {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا}[الكهف: 65]. ونسيان الحوت ليس هو ما يبتغيه موسى على وجه الحقيقة، وإنما يبغي الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه. وأما في سورة يوسف، فالطعام هو ما يبغون وهو سبب رحلتهم، ففرق بين البغيتين، فلمّا كان ما في الكهف ليس هو ما يبغون حذف من الحدث إشارة إلى عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام، وإنما هو علامة على الموضع الذي يجدون فيه بغيتهم. ولما كان في يوسف هو بغيتهم ذكر الفعل كاملا ولم يحذف منه، فناسب كل مقامه والله أعلم.(al-Sāmrā’ī, 2006)

حذف ياء المتكلم. قد تحذف ياء المتكلم ويتجتزأ عنها بالكسرة. ومن ذلك قوله تعالى على لسان المتوفى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون: 10] بذكر الياء في (أخرتني)، وقوله على لسان إبليس: { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا}[الإسراء: 62] بحذف الياء منه.

والفرق بين المقامين ظاهر، ذلك أن طلب إبليس "لا يريده من أجل نفسه ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريده ليضل ذرية آدم، ثم إن هذا الطلب لا يعود عليه بنفع ولا يدفع عنه ضرا وليس له مصلحة فيه، بل العكس هو

الصحيح، بخلاف الطلب الآخر، فإنه يريده لنفسه حقا وأنه لا شيء ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه. (al-Sāmrā'ī, 2006)

3) ذكر حرف المد (الألف) في فواصل قسم من الآي وعدم ذكره في مواطن أخرى. ومن ذلك ما جاء في سورة الإنسان: وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16)} [الإنسان: 15-16] فأطلق (القوارير) الأولى بالألف وكان حقا ألا تطلق لأنها ممنوعة من الصرف. ومن دواعي ذلك –والله أعلم– أنه أطلق الصوت فيها مناسبة لإطلاق جنسها ونوعها، فهو لم يبين نوع القوارير ولا من أي جنس هي فأطلقها لذلك، ولما قيد جنسها في الآية التي تليها، فقال (قوارير من فضة) لم يطلقها، هذا علاوة على رعاية الفاصلة فزادها ذلك حسنا على حسن، والله أعلم.(al-Sāmrā'ī, 2006)

المبحث الرّابع: الإيجاز والإطناب.

الإطناب هو مصدر أطنب في كلامه إطناباً إذا بالغ فيه وطَوَّل ذيوله لإفادة المعاني. واشتقاقه من قولهم: أطنب بالمكان إذا أطال مقامه فيه، وفرس مطنب إذا طال متنه، ومن أجل ذلك سُمِّي حبل الخيمة طنباً لطوله، وهو نقيض الإيجاز في الكلام (Yaḥya ibn Ḥamzah, 1423H) .

وقال السيوطي في الإتقان: "اعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب. قال صاحب الكشاف: كما أنه يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع"(Al-Ṣuyūṭī, 1974).

إنما جمعوا بين الإطناب والإيجاز، وهما نقيضان لاختلاف المقامات فما يصلح في مقام لا يصلح في الآخر، ولهذا قال العسكري: القول القصد أن الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ (Al-Rūmī, 1987)

وذكر الرومي أنَّ: الإطناب ينقسم إلى قسمين؛ القسم الأول: ما يكون متعلقاً بالجملة الواحدة من الكلام، وهو نوعان؛ 1): ما يَرِدُ من الإطناب علىِ جهة الحقيقة بأن يكون معنى اللفظ الزائد هو معنى المذكور، ويكون مغايرا له. ومن أمثلة هذا النوع قولنا: "رأيته بعيني", "وقبضته بيديَ"، "ووطئته بقدمي", "وذقته بلساني"، إلى غير ذلك من تعليق هذه الأفعال بما ذكر من الأدوات.

2) ما يرد من الإطناب في الجملة الواحدة على جهة المجاز وهذا كقوله تعالى: {فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[الحج: 46]. إذ من المعلوم أنَّ القلوبَ لا تكون إلا في الصدور، إلا أنه لِمَا عُلِمَ وتحقق أنَّ العمى على جهة الحقيقة إنما يكون في البصر وأن استعماله في القلوب إنما يكون على جهة التجوز

بالتشبيه، فلما أريد ما هو على خلاف المتعارض من نسبة العمى إلى القلوب ونفيه عن الأبصار لا جَرَمَ احتاج الأمر فيه إلى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أنَّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار(Al-Rūmī, 1987).

أمّا القسم الثاني: فالإطناب الذي يكون في الجمل المتعددة، وهو أربعة أنواع هي؛ 1) أن يذكر الشيء فيُؤتى فيه بمَعَانٍ مُتداخلة، إلا أن كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر. فالمِنَّة والصنيعة والإحسان أمور متقاربة وليس ذلك من قبيل التكرير لأنها إنما تكون تكريراً لو اقتصر على ذكرها مُطلقة من غير صفة كأن يقول: "منة وصنيعة وإحسان" ولكنه وَصفَ كلَّ واحدة منها بصفة تخالف صفة الآخر فلا جرم أخرجها ذلك عن حكم التكرير.

2) النفي والإثبات: وهو أن يُذكر الشيء على سبيل النفي، ثم يذكر على سبيل الإثبات أو بالعكس من ذلك، ولابد من أن يكون في أحدهما زيادة فائدة ليست في الآخر يؤكد ذلك المعنى المقصود وإلا كان تكريرا وذلك كقوله تعالى: {لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَالله عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ, إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} [التوبة:44- 45]-Al) Rūmī, 1987)

فالآية الثانية كالآية الأولى إلا في النفي والإثبات، فإنّ الأولى من جهة الإثبات والثانية من جهة النفي، فلا مخالفة بينهما إلا فيما ذكرناه خلا أن الثانية اختصت بمزيد فائدة وهي قوله: {وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}؛ ولو لا هذه الفائدة لكان ذلك تكريراً ولم يكن من باب الإطناب (Al-Rūmī, 1987).

فهذه أقسام الإطناب قد تكون في جملة واحدة أو في جمل متعددة، وله أساليب متنوعة فمنها: الإطناب بالاعتراض، الإطناب بالإيضاح، الإطناب بالإيغال، الإطناب بالبسط، الإطناب بالتكميل، الإطناب بالتكرير، الإطناب بالتوشيع، الإطناب بذكر الخاص، الإطناب بالزيادة.

ولِما يخالف الإطناب، فذكر السيوطي في الإتقان أنّ الإيجاز له قسمان: إيجاز قصر وإيجاز حذف. فإيجاز القصر: فالأول: هو الوجيز بلفظه قال الشيخ بهاء الدين: الكلام القليل إن كان بعضا من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف وإن كان كلاما يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر. وإيجاز الحذف فيه فوائد؛ منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره، ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء وقد اجتمعا في قوله تعالى: {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا}[الشمس: 10]. فناقة الله تحذير بتقدير "ذروا" و "سقياها" إغراء بتقدير "الزموا."

وقال الشيخ عبد القاهر: ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره وسمى ابن جني الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام.

ومن بين طرق الإطناب:

1. التذييل: وهو أن يؤتى بجملة عَقِبَ جملة، والثانية تشتمل على معنى الأولى، لتأكيد منطوقه أو مفهومه، ليظهر المعنى لمن لا يفهمه، ويتقرر عند من فهمه، نحو: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}[سبأ:17](Al-Ṣuyūṭī, 1988) .

ويعني التذييل ايضًا أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقق ما قبلها؛ وأن يذيل الناظم والناثر كلامه، بعد تمامه وحسن السكوت عليه، بجملة تحقيق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيدا، وتجري فيه مجرى المثل، لزيادة التحقيق (Mahmūd ibn ‘Abd Al-Raḥīm Ṣāfī, 1418H)

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة: 111]. ففي هذه الآية تذييلان: أحدهما قوله تعالى: {وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} ، فإن الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسن السكوت عليه، والآخر قوله تعالى: {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} فخرج الكلام مخرج المثل السائر.(Al-Ḥamawī, 2004)

2. التّكميل: هذه هي صورة أخرى من صور الإطناب، وكثير من البلاغيين يقولون أن التكميل هو الاحتراس كما يفرق بعضهم آخر. وسيأتي بيان للتكميل والاحتراس من بعد، إن شاء الله. إنّ "التكميل" فى اصطلاح البلاغيين، تتعدد عباراته ويتقارب أو يتوحد معناه، ومن تلك التعريفات عرّفه الباقلانى فقال: «ومن البديع التكميل والتتميم، وهو أن يؤتى بالمعنى الذى بدأ به بجميع المعانى المصححة المتممة لصحته المكملة لجودته من غير أن يخل ببعضها، ولا أن يغادر شيئا منها». (Majmū’at min al-Asātidzah wa al-‘Ulamā’ al-Mutakhaṣṣiṣīn, 2002)

كقوله تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: 54] فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذّلة على المؤمنين لتُوُهم أن ذلتهم لضعفهم، فلمّا قيل: {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} علم أنها منهم تواضع لهم؛ ولذا عدي "الذل" بـ "على" لتضمينه معنى العطف، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدية بـ "على"؛ لأن المعنى أنهم –مع شرفهم وعلوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين– خافضون لهم أجنحتهم.(Al-Ṣa’īdī, 2005)

3. الاعتراض: وهو أن يُؤتى في أثناء الكلام الواحد، أو بين كلامين مُتصلين معنىً بجملة أو أكثرَ لا محلَّ لها من الإعراب، طبعاً تكون لفائدة .. لنُكتة لكن غير دفع الإيهام. فقوله: {وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[البقرة: 72] اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وفائدته أن يقرر في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم في إخفائه وكتمانه؛ لأن الله تعالى مظهر لذلك، ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان: وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها، ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضا فيه.(Ibn Al-Atsīr, 1420H)

وكذلك في قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}[الأحزاب: 4]، فإن الفائدة في قوله تعالى (في جوفه) كالفائدة في قوله {الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46] وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور للمدلول عليه، لأنه إذا سمع به صور نفسه جوفاً (يحتوي) على قلبين. فكأن ذلك أسرع للإنكار. (Ibn Al-Atsīr, 1375H)

4. الاحتراس: وهو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود، بما يدفع ذلك الوهم. فالاحتراس: يوجد حينما ياتي المتكلم بمعنى، يمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ، فيفطن لذلك: ويأتي بما يخلّصه، سواء أوقع الاحتراس في وسط الكلام. كقول طرفة بن العبد: "فَسَقى ديارَك غير مُفسدها صوبُ الرَّبيع وَديمَةٌ تهمى". فقوله: غير مفسدها: للاحتراس. (Al-Hāshimī, N.D)

ومنه قوله: {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ}[النحل: 26]، والسقف لا يكون إلا من فوق لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة فإن كثيرا من السقوف يكون أرضا لقوم وسقفا لآخرين فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين وهما وقوله: [عليهم] ولفظة [خر] لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى سفل. وقيل: إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط فجاء بقوله: [من فوقهم] ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم فقال: [من فوقهم] أي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا وما أفتلوا. (Al-Zarkasyī, 1957)

وذكر في أنوار الربيع في أنواع البديع الفرق بين التذييل والتكميل في ثلاثة أوجه: الأوّل: التكميل يكون في الحشو والمقاطع بخلاف التذييل، فإنه لا يكون إلا في المقطع دون الحشو. والثاني: أن التكميل قد يكون بغير الجملة بخلاف التذييل. والثالث: أن التكميل يخرج عن معنى الكلام المتقدم لأنه يفاد به معنى زائد على ما تقدم بخلاف التذييل(‘Alī Khān ibn Mirzā Aḥmad, 1033H)

ولنضيف نقطة أنَ أكثر علماء المعاني جعلوا التكميل والاحتراس شيئا واحدا، والمحققون من المتأخرين وأصحاب البديعيات على أن كلا منهما نوع برأسه. فإن التكميل يرد على المعنى التام فيكمل أوصافه، والاحتراس يرد على المعنى الموهم خلاف المقصود، فيدفع ذلك الوهم. وقد أورد الصفي وابن حجة لنوع التكميل أمثلة هي بنوع الاحتراس أولى، منها قوله تعالى "فسوف يأتي بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

قال الصفي وتبعه ابن حجة: انه لو اقتصر سبحانه على قوله (أذلة على المؤمنين) كان مدحا تاما بالرياضة والانقياد لإخوانهم، فوصفهم أيضاً بالعز والمنعة والغلب بقوله (أعزة على الكافرين)؛ والحق أن قوله (أعزة على الكافرين) احتراس، لأنه لو اقتصر على قوله (أذلة على المؤمنين) لأوهم أن الذلة لضعفهم فدفعه بقوله (أعزة على الكافرين) تنبيها على أن ذلك تواضع منهم للمؤمنين, ولهذا عدى الذل (بعلى) لتضمنه معنى العطف. قال التفتازاني: ويجوز أن يقصد بالتعدية (بعلى) الدلالة على أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضين لهم أجنحتهم.(‘Alī Khān ibn Mirzā Aḥmad, 1033H)

وذكر في تحرير التحبير الفرق بين الاحتراس، والتكميل: أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى. فأما الإحتراس فهو لاحتمال دخل على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الكلام صحيحاً. (Al-‘Adwānī, 2010)

وترى الباحثة أرجح الأرآء عندها هو التكميل والاحتراس لهما فرق يسير، وهو التكميل غرضه لتكميل الجملة التي لها معنى صحيح لا يراد عكسه بل بيان فحسب. أما الاحتراس فله غرض آخر في بيان معنى آخر للجملة. والله أعلم.

خاتمة

قد تمّ البحث بموضوع علم المعاني وأهميّته لمعرفة قصد القرآن. وتتبيّن في هذا البحث عن مباحثها المهمة؛ الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإيجاز والإطناب مع الشرح لكل واحدة منها مع الأمثلة. واتّضح لنا من خلال هذه البيانات أنّ علم المعاني تلعب دورًا كبيرًا لتوضيح معنى الآيات القرآنية بقصدها الحقيقية. ورجاءًا أن ينفع هذا البحث اليسير للجميع، ونسأل الله الرحمة والاستعانة.

References

Al-Qur'ān al-Karīm.

Ḥabannakah, 'Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan al-Maydānī al-Dimashqī. (1996M). *Al-Balāghah al-'Arabiyyah*. (1st ed). Damascus. Dār al-Qalam. Beirut. Al-Dār al-Shāmiyyah.

Aḥmad, 'Alī Khān ibn Mirzā, al-Madanī, Ṣadr al-Dīn, al-Ḥusaynī, 'Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad Ma'ṣūm al-Ḥasanī. (1033H). *Anwār al-Rabī' fī Anwā' al-Badī'*. (N. Ed). (N. C).

Al-'Adwānī, Abd al-'Aẓīm ibn al-Wāḥid ibn Ẓāfir ibn Abī al-Iṣba'. (N.D). *Taḥrīr al-Taḥbīr fī Ṣinā'at al-Shi'r wa al-Natsr wa Bayān I'jāz al-Qur'ān*. (N.Ed). Taqdīm wa Taḥqiq: Ḥanafī Muḥammad Sharf. Al-Jumhūriyyah al-'Arabiyyah al-Muttaḥidah. Al-Majlis al-A'lā li Shu'ūn al-Islāmiyyah. Lajnah Iḥyā' al-Turāth al-Islāmī.

Al-Ḥamawī, Ibn Ḥajjah Taqiy al-Dīn Abū Bakr Ibn 'Alī Ibn 'Abd Allah al-Azrārī. (2004 M). *Khazānat al-Adab wa Ghāyat al-Arb. Al-Muḥaqqiq: 'Iṣām Shaqī*. Beirut: Dār wa Maktabah al-Hilāl ār al-Biḥār.

Al-Hāshimī, Aḥmad ibn Ibrāhīm ibn Muṣṭafā. (N.D). *Jawāhir al-Balāghah fī al-Ma'ānī wa al-Bayān wa al-Badī'*. (N. Ed). Beirut. Al-Maktabah Al-'Aṣriyyah.

Al-Marāghī, Aḥmad ibn Muṣṭafā. (N.D). *'Ulūm al-Balāghah al-Bayān, Al-Ma'ānī, al-Badī'*. (N. Ed). (N. C).

Al-Maṭa'nī, 'Abd al-'Aẓīm Ibrāhīm Muḥammad. (1413H/1992M). *Khaṣā'iṣ al-Ta'bīr al-Qur'ānī wa Simātuh al-Balāghiyyah*. Al-Qahirah: Maktabah Wahbah.

Al-Naḥḥās, Abū Ja'far Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ismā'īl ibn Yūnus al-Marādī al-Naḥwī. (1421 H). *I'rāb al-Qur'ān*. (1st ed). Waḍa' Ḥawāshīh wa 'alaqa 'alaih: 'Abd al-Mun'im Khalīl Ibrāhīm. Beirut. Dār al-Kutub Al-Ilmiyyah. Manshūrāt Muḥammad 'Ali Bayḍūn.

Al-Rūmī, Fahd 'Abd Al-Raḥmān ibn Sulaymān. (1417 H/1987M). *Al-Badihiyyāt Fī al-Qur'ān al-Karīm*. Al-Jāmi'at al-Islāmiyyah bi al-Madīnat al-Munawwarah.

Al-Ṣa'īdī, Abd al-Muta'āl. (1426H/2005M). *Bughyat al-Īḍāḥ li Talkhīṣ al-Miftāḥ fī 'Ulūm al-Balāghah*. (17th ed). Maktabah al-Ādāb.

Al-Samrā'ī, Fāḍil Ṣāliḥ, (2006M). *Balāghat al-Kalimah fī al-Ta'bīr al-Qur'ānī*. (2nd Ed). Cairo: Al-'Ātik li Ṣinā't al-Kitāb.

Al-Ṣuyūṭī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, Jalāl al-Dīm al-Ṣuyūṭī. (1394H/1974M). *Al-Itqān fī 'Ulūm alQur'ān*. Al-Muḥaqqiq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. Al-Hay'ah al-Miṣriyyah al-'Āmmah li al-Kitāb.

Al-Ṣuyūṭī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, Jalāl al-Dīm al-Ṣuyūṭī. (1408H/1988M). *Mu'taral al-Aqrān fī I'jāz al-Qur'ān*. (1st ed). Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Zarkasyī, Abū 'Abd Allah Badr al-Dīn Muḥammad ibn 'Abd Allah ibn Bahādur al-Zarkashī. (1376 H/1957 M). *Al-Burhān fī 'Ulūm al-Qur'ān*. (1st Ed). Al-Muḥaqqiq: Muḥammad Abū Al-Faḍl Ibrāhīm. Beirut: Dār al-Ma'rifah.

Basyūnī, 'Abd al-Fattāḥ Basyūnī. (1406 H). *'Ilm al-Ma'ānī: Dirāsah Balāghiyyah wa Naqdiyah li Masā'il al-Ma'ānī*. (N. Ed). Al-Qāhirah. Maktabah Wahbah.

Ḥāmid 'Awnī. (N. D). *Al-Minhāj al-Wāḍiḥ li al-Balāghah*. (N. Ed). (N. C). Al-Maktabah al-Azhariyyah li Al-Turāth.

Ibn Al-Atsīr, Naṣr Allah Ibn Muḥammad Ibn Muḥammad Ibn 'Abd al-Karīm al-Shaybānī, Al-Jazarī, Abū al-Fath, Ḍiyā' al-Dīn. (1420 H). *Al-Matsal al-Sā'ir fī Adab al-Kātib wa al-Shā'ir*. (N. Ed). Al-Muḥaqqiq: Muḥammad Muḥy al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd. Beirut: Al-Maktabah Al-'Aṣriyyah li Al-Ṭibā'ah wa Al-Nashr.

Ibn Al-Atsīr, Naṣr Allah Ibn Muḥammad Ibn Muḥammad Ibn 'Abd al-Karīm al-Shaybānī, Al-Jazarī, Abū al-Fath, Ḍiyā' al-Dīn. (1375 H). *Al-Jāmi' al-Kabīr fī Ṣināatal-Manẓūm Min al-Kalām wa al-Mantsūr*. (N. Ed). Al-Muḥaqqiq: Muṣṭafā Jawwād. Maṭba'ah al-Majma' al-'Ilmī.

Mahmūd ibn 'Abd Al-Raḥīm Ṣāfī. (1418 H). *Al-Jadwal fī I'rāb al-Qur'ān al-Karīm*. (4th ed). Damascus: Dār al-Rasḥīd. Beirut: Mu'assasah al-Īmān.

Majmū'at min al-Asātidzah wa al-'Ulamā' al-Mutakhaṣṣiṣīn. (1423H/2002M). *Al-Mawsūah al-Qur'āniyyah al-Mutakhaṣṣiṣah*. Egypt. Al-Majlis al-A'lā li al-Shu'ūn al-Islāmiyyah.

Yaḥya ibn Ḥamzah ibn 'Ali ibn Ibrāhīm. (1423 H). *Al-Ṭarrāz li Asrār al-Balāghah wa 'Ulūm Ḥaqā'iq al-I'jāz*. (1st ed). Beirut: Al-Maktabah Al-'Unṣuriyyah.

.